رؤية الإمام الخميني (قده) إلى الغرب والحضارة الغربية :

خطوط المواجهة ... وشروط التفاعل

الأستاذ عادل رؤوف

مدير المركز العراقي للإعلام والدراسات - دمشق

استندت رؤية الإمام الخميني (قده) إلى الواقع الدولي والأنظمة السياسية التي تحكمه، ومراكز القوى الأساسية، وأنماط العلاقات السياسية الدولية والجانب المؤسسي فيه، وما يعرف بالنظام الدولي الذي كان سائداً آنذاك، استندت هذه الرؤية - وتأسست - إلى منهج تعاطٍ شمولي نابع من قاعدتين أساسيتين، قاعدة مبدئية - فكرية - ثقافية تقضي بمواجهة الإستعلاء الدولي، النازع نحو الهيمنة والقائم على الظلم والإستغلال، مهما كان مصدر هذا الإستغلال، أو الجهة الدولية التي تمارسه. وليس هنالك حاجة إلى التأكيد أن مضمون المعرفة الإسلامية الأصيلة يفرض هذا المنهج الشمولي...

أما القاعدة الثانية، فهي قاعدة ميدانية، تجريبية، إذ إن حياة الإمام (قده) اختزنت مراقبة السياسات والإستراتيجيات الدولية، والتطبيقات السلوكية لها، التي حولت العالم إلى معسكرين، ومناطق نفوذ تابعة لها. وانطلاقاً من هذا الواقع الثنائي الدولي الغربي - الشرقي فإن تجارب الحركات والشعوب التي حاولت الإفلات من هذا الطوق الحديدي، كانت تتحرك في فضاء العثور على ممكن جديد للإنتصار من داخل هذا الواقع، ولم تجرب الخروج عليه بشكل كلي وترفضه بصورة اجمالية، وتسعى إلى مواجهته مواجهة شاملة، لأن مثل هذا المنهج يكاد يصنف في إطار المستحيل السياسي، أو أنه أساساً لا ينتمي إلى البديهيات السياسية أو العرف السياسي المتبع، وحتى لو تبلور هذا الطموح في تفكير بعض الزعماء أو برامج بعض الحركات الإسلامية التي سبقت الثورة التي قادها الإمام الخميني الراحل

(قده)، فإنه بقي في إطار التفكير الداخلي، ولم يتبلور على شكل خطاب واضح المعالم، وسياسة معلنة وواضحة، ولغة تجسد تحدياً هائلاً. وبناءً على ذلك، فإن الإمام (قده) لم يقترب في منهجه السياسي التعاملي مع الواقع الدولي من آليات التعامل التقليدية المعمول بها في عالم الطامحين نحو التغيير، ولم يقترب من مقولات «التكتيك» السياسي، أو تأجيل الخصومة مع طرف دولي، للإستقواء به ضد طرف آخر، أو المناورة السياسية أو الخداع السياسي، لأن اللجوء إلى هذه الآليات والسلوكيات والمقولات قد يصلح في مرحلة معينة وظروف معينة، إلا أنه يشكل خطراً كبيراً في مراحل الانطلاق الثوري، والتأسيس لمعالم المشروع الإسلامي، والطموح نحو إرساء سياسة دولة يفترض لها أن تنهض من جذور فكرية - عقيدية - ثقافية، ومن رؤية إسلامية طامحة نحو اقامة العدل الإلهي.

فهذا التأسيس يتطلب وضوح الآليات والأهداف معاً، وفي ظل انعدام هذا الوضوح سيقع منهج التعاطي السياسي مع الواقع الدولي في الكثير من حالات الغموض والتشويش، هذا فضلاً عن أن ضرورة التعبئة الثورية، وتأسيس الوعي الثوري والإطاحة بأهداف الحرب النفسية للأعداء والحاجة إلى نظرية لتحريك الأمة... كل ذلك يفرض الإبتعاد عن المنهج التجزيئي - أي المنهج الساعي إلى التغيير من داخل الواقع السياسي الدولي ومن داخل الأنظمة الصراعية التي تحكمه وتتحكم به - وتوجب العمل بمنهج شمولي، كلي، ولا سيما أن الإمام، بثقافته القرآنية، وسلوكه العرفاني، كان يمتلك شجاعة مستمدة من شجاعة الأنبياء ومهامهم الكبرى، الذين لا ينظرون إلى المواجهة بتجلياتها المادية ورموزها الطاغوتية، بل ينظرون إليها من قاعدة التكليف، وأساس المسؤولية، ووجوبية الاخلاص في أداء الدور بعيداً عن نتائج الإنتصار السريع، فمتى ما توافرت هذه الشروط، وهي قد توافرت لدى الإمام الخميني (قده) فبالإمكان تصور «طبيعية» الأسباب التي دفعته إلى الخروج عن «المألوف» في قراءة الوضع السياسي الدولي، والإنفراد بقراءة ورؤية مغايرة، جسّدها في خطاب مغاير، بدا للوهلة الأولى بالنسبة للعاملين في الحقل السياسي العالمي على أنه خطاب يغرد خارج السرب،

ويصنّف في خانة الأحلام، ولا ينتمي إلى عالم الواقع أو ما يسمى بـ «السياسية الواقعية» المحكومة إلى أسباب وقوانين مادية، وإلى.. موازين قوى ومعالم صراع لا يمكن الخروج عليها. وعليه حتى لو بدت الحاجة إلى استدعاء النصوص المرتبطة برؤية الإمام الخميني (قده) في هذا الإطار غير ضرورية، لأنها أصبحت بعد تراكمها وتحويل ما تصبو إليه إلى واقع معيش بديهية من بديهات المعرفة العامة لدى الجميع، إلا أن آليات البحث العلمي وضروراته تفرض استدعاءها ولو بشكل مضغوط وموجز.

إن عينة من نصوص الإمام ستظهر هذا التوجه الكلي في مقاومة الحالة الطاغوتية، في أي اسم تمظهرت، ولا سيما أنه توجه ينسجم مع طموح التغيير الشمولي لكل العالم لدى الإمام (قده)، يقول الإمام الخميني (قده):

ـ «في يومنا هذا تقوم كل من الصين الشيوعية التي تدّعي الثورية وأميركا مثال الإستعمار العالمي، وروسيا مصدر الكذب والرياء، وبريطانيا العجوز، بدعم نظام الشاه ضد ثورة ونهضة شعبنا المطالب بالحرية والإستقلال. لكنني على يقين كبير بأن انتصار شعبنا حتمي وقريب بإذن الله»(١).

ـ «إننا نعادي الشيوعية العالمية بقدر مناهضتنا القوية للمستعمرين الغربيين بزعامة أميركا والصهيونية وإسرائيل»(٢).

ـ «لو وجدت اتجاهات وميول شرقية أو غربية بين معلمينا، فإن بلادنا ستميل إما إلى الشرق أو الغرب، وسوف تكون خالية من محتوى الجمهورية الإسلامية التي شعارها: لا شرقية ولا غربية»(٣).

ـ «إن أسواق البلدان الإسلامية أصبحت مركز تنافس لبضائع الغرب والشرق وتتجه إليها سيول البضائع الكمالية المبتذلة واللعب والإستهلاكيات»(٤).

---

(١) الحياة السياسية للإمام الخميني.

(٢) في حديث لمناسبة حلول السنة الهجرية الشمسية. ٢٢ مارس ـ ١٩٨٠.

(٣) في كلمة للإمام (رض) أمام موظفي مدرسة الشهيد مطهري بتاريخ.

(٤) في نداء للإمام (رض) إلى حجاج بيت الله الحرام غرة ذي الحجة ١٤٠٥ هـ. ق.

- «علينا أن نصنع من إيران بلداً مستقلاً، سياسياً وعسكرياً وثقافياً واقتصادياً، ومحرراً من الإتكاء على أميركا والإتحاد السوفياتي وبريطانيا، هذه القوى الدولية الطامعة.. وعلينا أن نعلن هويتنا الأصلية للعالم... ومع الأسف، إن «المثقفين» لا يستطيعون أن يتحرروا من تبعيتهم للشرق أو الغرب... ونأمل أن يعود هؤلاء الموتورون على الأمة إلى رشدهم في ظل التغيير الثقافي الإسلامي القائم، وأن يستعيدوا أصالتهم...»[1].

- «إن مخطط نزع البلدان المستعمرة عن هويتها وتغريبها وتشريقها هو من المخططات التي كان لها، مع الأسف، تأثير بالغ على كثير من البلدان وعلى بلدنا العزيز، وقد بقيت نسبة كبيرة من آثارها حتى عادت هذه البلدان لا ترى نفسها ولا ثقافتها وقوتها بشيءٍ وترى في القطبين القويين الغرب والشرق العنصر الأفضل، وثقافتهما هي الأسمى، وأنهما قبلتا العالم، وصوروا التبعية لأحدهما بأنها من الفرائض التي لا مناص منها، وقصة هذا المخطط مؤلمة طويلة، والضربات التي وجهها إلينا هذا المخطط كان وما زال مهلكة قاصمة»[2].

- «إني أوصي أبناء الشعب، في العصر الراهن وفي المستقبل، بأن ينتخبوا بإرادة راسخة وانطلاقاً من التزامهم بأحكام الإسلام، وحرصهم على مصالح البلد، أن ينتخبوا في كل دورة انتخابية نواباً مؤمنين بالإسلام وبالجمهورية الإسلامية. وغالباً ما يكون هؤلاء من الطبقة المتوسطة في المجتمع ومن المحرومين... نواباً، غير منحرفين عن الصراط المستقيم ولا متحزبين إلى الغرب أو الشرق»[3].

إن هذه العينة من النصوص تشرح رؤية الإمام الخميني (قده) العامة إلى السياسة العالمية... وهي رؤية شارحة لصيغها وأنظمتها التي كانت سائدة، ونازلة إلى الإيضاح الضمني لأهداف هذه السياسة وأساليبها وآلياتها ومجالاتها، كما أنها

---

(١) في خطاب قاله الإمام (رض) بتاريخ ١١ تموز ١٩٧٩.

(٢) من وصية الإمام الخميني (قده).

(٣) المصدر نفسه.

داعية إلى مقاومتها ـ دفعة واحدة ـ للأسباب التي ذكرناها، وهي أسباب يمكن ايجازها بالشكل التالي:

أولاً: لأن تأسيس المشروع الإسلامي يقتضي هذه الشمولية في الرؤية.

ثانياً: ولأن عملية تراكم الوعي السياسي السليم تتطلب الوضوح في تشخيص الواقع الدولي، فيما «التحييد» أو «المناورة» أو «التأجيل» في تشخيص هذا الواقع سيؤثر على صيرورة هذا الوعي.

ثالثاً: وتنطلق رؤية الإمام الكلية من مبادئه وقيمه وأفكاره الإسلامية ذات الطابع العالمي الإنساني.

رابعاً: كما أن هذه الرؤية تأخذ مصاديقها من مجسّ ميداني تمثل في مواكبة التجربتين الغربية والشرقية، الرأسمالية والشيوعية في العالم، وتطبيقاتهما، وواقع الظلم الإنساني الذي عانته البشرية من جراء ذلك.

وبالتأكيد، فإن هذه الشمولية لا تعني، في رؤية الإمام، إلغاء التمايز في هذه الرؤية على ضوء الواقع السياسي الذي يتحرك على الأرض، فعندما يتحرك هذا الواقع ميدانياً لمصلحة الهيمنة الغربية، أو عندما تتراجع في ظله مساحة نفوذ المعسكر الإشتراكي، فإن رؤية الإمام كانت دائماً ترصد هذا التغيّر، وإن خطابه السياسي يفي بتوصيفاته عبر نصوص مركزة تجعل من إمكانية بلورة الموقف من الغرب والحضارة الغربية أمراً أكثر سهولة وأكثر تبريراً لأسباب تتعلق بالواقع الميداني الذي جعل مواجهة الإمام الخميني (قده) مع الغرب أكثر من الشرق.

رؤية الإمام إلى الغرب

جاءت نظرة الإمام الخميني إلى الغرب والحضارة الغربية مبثوثة في كل نصوص المشروع التغييري ـ الثوري له، ولا سيما أن النص الخميني، نص ترابطي مركّب مازج بالعادة لأكثر من مفهوم ومعنى ودلالة، ويغطي أكثر من مجال من مجالات الحياة.. وهو نص امتاز بقدرة الاختزال والتركيز في آن معاً، بحيث يمكن

الجزم بأن هذه القدرة شكلت خصوصية من خصوصيات خطابه التغييري انفرد بها عن باقي الخطابات، ونعني بالإختزال هنا: اختزال مضمون المشروع التغييري له في النص الواحد، مهما كان حجم هذا النص... وبمعنى آخر القدرة على إعطاء «هوية» للنص - إذا صح التعبير - تعكس الجزء الأكبر من مضمون أو مضامين مشروعه التغييري. ومشروع الإمام (قده) - كما هو معلوم - ارتبط ارتباطاً جدلياً برؤيته للغرب والحضارة الغربية، وهذا الارتباط كان نابعاً من طبيعة مشروع الإمام النظرية والميدانية.

أولاً: بما أنه مشروع سعى إلى تحرير إيران الشاه من النفوذ الغربي والتبعية الغربية، وإعادتها إلى أحضان الإسلام.

ثانياً: وبما أنه مشروع يختزن قضية الإسلام المركزية «قضية فلسطين»، ويضع القضاء على «إسرائيل» في سلّم أولياته وأهدافه، بما تعنيه مواجهة «إسرائيل» من مواجهة للغرب واستراتيجياته إزاء العالم الإسلامي.

ثالثاً: وبما أنه مشروع أسس في جزء من المواجهة منه على محاربة التبعية الثقافية والإقتصادية والسياسية والنفسية للغرب أو الشرق، ولما كان العالم الإسلامي واقعاً تحت الهيمنة الغربية بجزئه الأكبر، فلقد جاءت ثقافة المقاومة في مشروع الإمام مستهدفة للغرب أكثر من الشرق كتحصيل حاصل، مع التركيز على وحدة موقفه من القوى الطاغوتية في العالم.

رابعاً: وفي البعد الإنساني لمشروع الإمام (قده) وهدف تحرير الإنسانية المستضعفة من ربقة الإستكبار العالمي، تساهم مئات - إن لم نقل الآلاف - من النصوص الخمينية التي استهدفت تجليات الطاغوتية الغربية، وزعيمتها الولايات المتحدة الأميركية.

إنطلاقاً من هذه النقاط ونقاط أخرى يرتبط بعضها بالقواعد الغربية العسكرية في المنطقة الإسلامية، وموقف الغرب من المسلمين، ومشاريعه في الترويج لأشكال أخرى من الإسلام كالإسلام الرسمي، والإسلام الشكلي، والإسلام الترقيعي، جاء

مشروع الإمام للنهوض بمهمتين متداخلتين ومترابطتين: مهمة مواجهة الغرب في استراتيجية الهيمنة التي يتبعها في المنطقة، والجزء الفاسد من حضارته الذي يعمد على إشاعته فيها، وكشف كل الأساليب والسياسات والإستراتيجيات والخطط والمؤامرات والآليات التي اتبعها الغرب لفرض هذه الهيمنة... ومهمة تأسيس المشروع الإسلامي الأصيل، ولقد طالت هذه المهمة كل ما يدخل في حيز المشروع من رؤى ثقافية وفكرية، ورؤى بنيوية للنص والخطاب، ومن استدعاء للتاريخ الإسلامي الثوري، ومن تأهيل للكوادر والقيادات ومن نظريات للحكم والإدارة وقيادة القضية.

وإذا كانت النصوص المطلوبة في سياق هذا البحث، لا ترتبط بالمهمة الثانية، فإنه بحكم التداخل والترابط الذي أشرنا إليه، فإن أي عينة حتى لو كانت غير منتقاة من نصوص الإمام (قده) يمكن أن تبرز مضمون رؤيته عن الغرب والحضارة الغربية، فهي رؤية لا يمكن توصيفها بالسلبية أو اللاإيجابية فقط، أو لا يكفي حتى الإرتقاء بتوصيفها إلى أنها نابعة من الصراع المفتوح الذي خاضه الإمام (قده) مع الغرب. فلقد حكمت هذه الرؤية وتأسست على ما يتجاوز الأسباب التي أشرنا إليها، أو تلك الأسباب النظرية ـ الميدانية المرتبطة بفكر الإمام (قده). إنها أسباب تغوص بعيداً إلى ادراك جذور الخطط السرية التي عمل بها الغرب في إيران الشاهنشاهية، وإلى ادراك السرقة الغربية المنظمة لثروات إيران ودول المنطقة وشعوب العالم، وإلى مداليل الغزو الفكري والثقافي وتجلياته.

وخلق تيار الخضوع والإخضاع النفسي الذي ربط العالم الإسلامي بتبعية شاملة منظمة للغرب.

فهذه الأسباب وإدراكها عبر مواجهة مفتوحة خاضها الإمام مع الغرب، صاغت رؤيته إليه صياغة حدية قاسية قاطعة، تقوم على ما يقترب من معنى الرفض الكلي للواقع الغربي. ولا يترك إلا هامشاً محدوداً وضيقاً لإمكانية «التصالح» مع هذا الغرب. فخطاب الإمام الثوري الذي ترجم هذه الحدية الواضحة ازدحم بتوصيفاته

للواقع الغربي السلبي، بنزعاته التوسعية والإستغلالية، ولاحق حضور هذا الواقع وأساليبه وآلياته في الساحتين الإسلامية والعالمية وفي شتى مجالات الحياة، وقبل أن نبوّب رؤية الإمام (قده) في هذا الاطار، لا بد من التوقف أولاً على بعض نصوصه المتعلقة بالغرب:

- «أيها المسلمون المؤمنون بحقيقة الإسلام، انهضوا ووحدوا صفوفكم تحت راية التوحيد وفي ظل تعاليم الإسلام، واقطعوا أيدي القوى الكبرى الخائبة عن بلدانكم وثرواتكم الوفيرة، وأعيدوا مجد الإسلام وتجنبوا الإختلافات والأهواء النفسية، فإنكم تملكون كل شيء. واعتمدوا على الثقافة الإسلامية، وحاربوا الغرب والتغرب، وقفوا على أقدامكم، واحملوا على المثقفين الموالين للغرب والشرق، وجددوا هويتكم»(١).

- «إنكم لن تحققوا الإستقلال ما دام الغرب موجوداً هنا... وإذا لم يذهب المتفرنجون من هذه البلاد أو يتم إصلاحهم فإنكم لن تصلوا إلى الإستقلال»(٢).

- «كل تيارات التغرب هي انغماس في الظلمات، ولكن أولئك الذين اتخذوا من الغرب والأجانب قبلة لهم ضلوا في الظلمات وأضحوا أولياء الطاغوت. شعوب الشرق اتجهت نحو الغرب بفعل الدعايات التي بثها الطواغيت وعملاؤهم في الداخل. وأضحى الغرب قبلة آمالهم وانهزموا داخلياً، ونسوا أنفسهم ومفاخرهم.. وأضحت العادة أن يضعوا على كل شيء اسماً غربياً وأن يهتموا بالكتب المليئة بالمصطلحات الغربية»(٣).

ولم يغفل خطاب الإمام (قده) توصيف زعيمة العالم الغربي، الولايات المتحدة الأميركية، التي كانت حاضرة في هذا الخطاب بشكل مميز، فهو يقول ازاءها:

- «هم حيوانات مفترسة لا يتورعون عن ارتكاب أية جناية وخيانة لتحقيق

---

(١) في نداء للإمام (رض) إلى حجاج بيت الله الحرام.

(٢) في كلمة للإمام (قده) مع طلبة جامعة مفيدي.

(٣) في حديث للإمام (رض) بتاريخ ٣٠ شوال ١٤٠٠هـ.

أهدافهم المشؤومة، ولا يميزون ـ في طريق الوصول إلى السيطرة ومطامعهم الدنيئة ـ بين العدو والصديق، وعلى رأسهم أميركا، هذه الارهابية ذاتاً، هذه الدولة التي أضرمت النار في جميع أرجاء العالم، وحليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب، لتحقيق مطامعها، جنايات تخجل الأقلام والألسن عن كتابتها وذكرها.. ويحملهم الخيال الأبله بإسرائيل الكبرى على ارتكاب أي جناية»(١).

ـ «إن أولئك الذين يظهرون معارضتهم للإرهاب هم اليوم يشكلون مراكز للإرهاب. فأميركا التي أقامت الدنيا ولم تقعدها في الحديث عن حقوق الإنسان وحب البشرية «ورئيس جمهوريتها الذي ما فتىء يتحدث عن حبه للإنسان» هل هؤلاء حقاً يحبون الإنسان؟.. هل أميركا تحب الإنسانية حقيقة؟... أميركا التي ما انفكت تشعل نيران الحروب في العالم وتبيد البشرية عن هذا الطريق، هل هي حقاً تحب الإنسان والإنسانية؟ وهل حقاً أن الإسلام كما يصف هؤلاء، وإيران الإسلام هي كما يتهمها هؤلاء»(٢).

ـ «نجح شعبنا، بفضل اللطف الإلهي، في تطبيق الشعارات التي أطلقها في أكثر المجالات. شعار الحرية والإستقلال، أضفنا لجماله جمالاً بعملنا، شعار الموت لأميركا رأينا مصداق تحققه على أيدي فتية الملاحم الإسلامية الأبطال، عبر اقتحامهم لوكر الفساد والتجسس الأميركي، لقد عرضنا جميع شعاراتنا لمحك الإختبار العملي»(٣).

ـ «أميركا هي التي تقف وراء إسرائيل، وأميركا هي التي تساند إسرائيل لدحر العرب والمسلمين وتشريدهم، أميركا هي التي تسيّر أمور بلدنا عبر عملائها مباشرة، أو بصورة غير مباشرة، أميركا هي التي ترى أن القرآن والإسلام خطر عليها وتريد وقفهما، أميركا هي التي ترى علماء الدين المجاهدين عائقاً وسداً منيعاً

---

(١) وصية الإمام الخميني (قده).

(٢) الثقافة الإسلامية. العدد الواحد والأربعون. رجب ـ شعبان ١٤١٢ ـ كانون الثاني ـ شباط ١٩٩٢.

(٣) «كيهان العربي» العدد ١٦٠٦.

حائلاً أمام أهدافها ومآربها، أميركا هي التي تأمر النظام بالإمتثال لأوامرها، وهي التي أمرته بالموافقة والمصادقة على هذا القانون الشنيع المذل للمسلمين ولمفاخرهم الإسلامية والوطنية. اليوم اقتصاد بلادنا بيد الأميركان والاسرائيليين، الأسواق التجارية والعجلة الإقتصادية خرجت من أيدي المسلمين، أمور المسلمين اليوم بأيديهم وبإمرتهم»(١).

أولاً: إن هذه النصوص التوصيفية للولايات المتحدة الأميركية، ولاسيما النص الأخير، واعطاءها هذا التمايز في الدور القيادي لعالم الغرب وسياسته، لا يخرج فيها الإمام (قده) عن فهم محدد للغرب تعكسه اجمالية النصوص المرتبطة به، وعمومية الخطاب الخميني، ويقوم هذا الفهم على النظر إلى الغرب كـ «كتلة» منسجمة في سياساتها وأهدافها العليا، سواء في اشاعة ثقافة التغريب وتعميمها على العالم، أو في موقفها وسياسة دولها مجتمعة في معاداة الإسلام، والعمل على مواجهته، ولذا، فإننا لا نجد الإمام يستغرق كثيراً أو يتطرق بالعادة إلى ما يوحي بالتمايز بين سياسات الدول الغربية ازاء القضايا المتعلقة بالعالم الإسلامي، والشعوب الرازحة تحت نير الأنظمة الدكتاتورية في العالم، فيما هو يركز ضمناً على الدور الأميركي، ويستغرق في توصيفاته، وإرساء ثقافة المقاومة إزاءه باعتباره عنوان هذه الكتلة الغربية. ويقترب فهم الإمام هذا للغرب إلى طرح «المركزية الأوروبية» في العالم الذي رصده بالمعالجة تيار من المفكرين المهتمين بقضايا الفكر العالمي وتجليات منظوماته وأنظمته السياسية.

وينسجم فهم الغرب من قبل الإمام الخميني (قده) ككتلة منسجمة موحدة السياسات والأهداف، مع فهمه للوضع السياسي العالمي الذي ابتعد عما أسميناه منهج تأجيل الخصومة مع طرف دولي، ضد طرف آخر، لأن تأسيس المشروع الإسلامي الأصيل - كما أشرنا - يتطلب صناعة وعي سليم، ومعرفة واضحة لواقع السياسة العالمية.

---

(١) في عام ١٩٦٤.

ثانياً: استغرق الإمام (قده) في توصيفه لعملية التغريب نازلاً بها من السلاح الذري إلى أسماء الشوارع، بما يوحي أنها عملية مسخ كاملة لشخصية الأمم الأخرى، لا تتوقف عند مجال من مجالات الهيمنة الثقافية والفكرية والإقتصادية، وأن هذا المسخ الضخم ينمّ عن جهود خطيرة وكبيرة، وعن مؤامرات متشابكة ومتداخلة حولته إلى تيار خطير في جسد الأمم المستهدفة وإلى واقع أفقدها خصوصياتها، ولقد أبيح لهذا الواقع أن يطبق بأدوات «الجريمة المنظمة، وكل فنون الشر والأنانية». وعليه فإن رؤية الإمام إلى الغرب لا تستهين بما قطعه هذا الغرب من أشواط في تنفيذ عملية التغريب، وبالتالي، فإنها لا تستهين بالإمكانات والقوة الضخمة التي بيد الغرب والتي أتاحت له هذا النفوذ والإمتداد والتفوق.

ثالثاً: إلا أن الإمام (قده) استطاع أن يفصل بدقة بين هذه القوى ونفوذها وامتدادها وتفوقها الحقيقي، وبين ما هو «وهمي» فيها، أي شخّص فيها استراتيجية الردع وسياسة التخويف، القائمة على أسس وهمية وليست حقيقية. وهذا التشخيص أنجزه الإمام (قده) من خلال الخطاب النظري والتجربة الميدانية معاً، ليثبت بشكل عملي أن جزءاً كبيراً من هذه القوة هو مفتعل، وأن جزءاً آخر نابع في سياق استراتيجية الردع من الحرب النفسية التي تسعى إلى تفكيك وتذويب إمكانات النهوض والقوة لدى الأمم المستهدفة، فعندما استنهض الإمام (قده) إرادة الإنسان المسلم بشكل صحيح، استطاع أن يعيد بناء الثقة المحطمة بتلك الحرب النفسية، واستطاع أن يسجل إنجازه الثوري في ما بعد. يقول الإمام في هذا الإطار «إن الشعوب التي فقدت ذواتها فقدت بلادها، وإن الأفكار التي رسخت في ذاتهم، والمتمثلة بعدم إمكانية المقابلة مع القوى العظمى، وأنها سوف تعمل كذا وكذا، يجب أن تزال من أدمغتهم، أي يجب أن يزال من أدمغة الشعوب هذا «اللاممكن» وإحلال «الممكن»... كلا، فبالإمكان أن نعمل ذلك كاملاً»[1].

- «ما أريد التأكيد عليه هو أن تُخرجوا من رؤوسكم ما يقال من أنه لا يمكن

(١) في خطاب للإمام (رض) مع المشاركين في مؤتمر القدس العالمي بتاريخ ٩/٨/١٩٨٠.

مواجهة الدولة الكبرى، صمموا على ذلك تقدروا، لأن الله يدعمكم ويحميكم. إن الهمسات التي يشيعها عملاء الإستعمار من أنه لا يمكنكم الحياة من دون اللجوء إلى إحدى الدول العظمى ، كلها خطأ مئة بالمئة وغير صحيحة. قفوا على أرجلكم باستحكام وقوة ، وكونوا مع الله واسعوا قبل كل شيء إلى الرقي في الإنسانية، عندها يمدنا الله بعونه ونستطيع أن نحصل على استقلالنا وحريتنا وحفظ إسلامنا ونوفق إلى ذلك إن شاء الله»[1].

رؤية الإمام إلى الحضارة الغربية

ما هو الحد الفاصل في خطاب الإمام الخميني (قده) في رؤيته بين العالم الغربي، كأنظمة سياسية منفردة، ونظام سياسي عام له سياقاته الإستغلالية، وبين الحضارة الغربية بما هي حصيلة علمية - ثقافية وذات ارتباط وتمثيل للأمم والشعوب الغربية أكثر من الأنظمة؟.

فهذا السؤال يحتاج إلى قراءة متأنية ودقيقة لمعرفة الحصيلة الكلية لرؤية الإمام (قده) للغرب، إذ يمكن القول ببساطة إن رؤية الإمام للغرب كأنظمة سياسية أو تيار أو «كارتل» دولي يتحكم بجزء كبير من السياسة العالمية وفق آليات مجردة من السياق الأخلاقي - المعنوي، وقائمة على الحساب المادي - المصلحي الذي ينتهي إلى استباحة العالم... يمكن القول ببساطة إن هذه الرؤية واضحة، وهي رؤية لا تقف عند الرفض أو التنديد أو التوصيف، بل إنها تؤسس لثقافة مواجهة مفتوحة لاستيلاد كل الفرص الممكنة لإعادة العالم إلى توازنه السياسي المنطقي المفترض.

وربما كانت الإشكالية في هذا الجانب تبدأ من هنا، من مقدار هذا الوضوح الهائل في موقف الإمام (قده) من الغرب والتغريب، فهذا الوضوح وما يقتضيه من تكرار محسوب في خطاب الإمام غطى على الموقف من الحضارة الغربية - كما اختصرناها - على أنها حصيلة علمية - ثقافية. فالإمام (قده) الذي لم يصادر هذه

(١) في حديث للإمام (قده) بتاريخ ٥ ٨ ٦ ٠ ٤ ١ ١هـ. ق المصادف ٢٦ ١١ ١٩٨١م.

الحقيقة بشكل ضمني، ومن خلال الإعتراف الضمني بقدرات الغرب العلمية والتقنية والتصنيعية.. يحاول أن يقترب من الشق الثقافي في الحضارة الغربية بشكل غير مباشر.

فهذه الثقافة لكونها نتاجاً عاماً، ساهمت فيه الأنظمة الغربية الحاكمة، من خلال اشاعة الثقافة المادية، وهي مساهمة تعبّر عن تراكم لأزمات تاريخية عاشها الغرب، وأدت في ما بعد إلى الإصطدام مع الدين والكنيسة التي تمثله، ولأن المسألة الثقافية تنطوي على تعقيدات كبيرة في الواقع والتاريخ الغربي، فإن نصوص الإمام (قده) تحاشت الخوض فيها بشكل مباشر، إلا أنها لم تهملها... بل هي أحكمت المدخل الذي يؤدي إلى عمق الأزمة الثقافية المتمثلة بإبعادها عن الدين والمعنويات وعن الارتباط الحقيقي بالله سبحانه وتعالى.. والمدخل كان خطاب الإمام الموجه إلى رجل الدين المسيحي لممارسة دوره الرسالي في المجتمع الأوروبي. لاحظ ماذا يقول الإمام في هذا الإطار: «أنا أعلم أن الدين المسيحي وكل من يتبع المسيح عليه أن يدافع عن المظلومين ويجابه الدول الكبرى، كما أن الذي يتبع دين الإسلام عليه أن يخالف الدول الكبرى، وأن يخلّص المظلومين من هؤلاء»[1].

- «ومن الأفضل أن تقرع النواقيس بأمر رب الكون وتعاليم عيسى المسيح لمصلحة الشعوب المستضعفة التي تئن تحت وطأة الطغاة من أمثال كارتر... هنيئاً لجياع وعطاشى العدالة، والذين يكدحون من أجل العدل، والويل للذين يكدحون - خلافاً لتعاليم المسيح وتعاليم كل الأنبياء - لمصلحة الظالمين والجواسيس الذين يسحقون الشعوب»[2].

هذان النصان هما نموذج لتعاطي الإمام مع العالم الأوروبي، ويوضحان:

١ - أن أزمة المجتمع الأوروبي تكمن في ثقافته المادية المجردة عن المعنويات.

---

(١) في كلمة للإمام (رض) رداً على رسالة البابا التي حملها إليه الاسقف كابوجي حول مدرسة النصارى في طهران بتاريخ ٢٢ بهمن / شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٠٠ هـ ٥ ١ آب ١٩٨٠.

(٢) في نداء للإمام (رض) له لمناسبة مولد السيد المسيح عليه السلام بتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٩٧٩.

٢ ـ وأن الخروج من هذه الأزمة يتحمل مسؤوليته رجل الدين المسيحي الذي يجب عليه أن لا يخضع لانحرافات أنظمته التي تلحق الظلم بالإنسانية.

٣ ـ وان الإمام (قده) يطمح إلى اعادة التوازن داخل هذا المجتمع.

٤ ـ وأنه بعد كل ذلك يربط الغرب والشرق والعالم كله في وحدة مصير وهدف، ويقترح تواصلاً مع الجزء المستضعف في هذا الكون من خلال ما أسماه بحزب المستضعفين، فهو يقول بصدد هذا الحزب: «إن يوم القدس يوم إسلامي، ويوم لتعبئة عامة المسلمين، وإني لآمل أن يكون مقدمة لتشكيل حزب المستضعفين في كل أرجاء الدنيا، وآمل أن يشكل حزب المستضعفين في العالم، يشارك فيه جميع المستضعفين ليعملوا على حل مشكلاتهم، ويتحدوا للقيام بمواجهة المستكبرين والمستعمرين، اللصوص الشرقيين والغربيين»(١).

ومن خلال كل ذلك لا يؤسس الإمام لقطيعة مع العالم الغربي أو غير الغربي، وإنما هو يؤسس لتعامل وتفاعل مشروط مع الغرب كأنظمة، ويؤسس لاندماج إنساني ـ استضعافي يقاوم حركة الظلم في العالم.

ويتضح أن الإمام (قده) يفرّق في موقفه وخطابه ورؤيته بين الغرب كسياسات استعلائية وأنظمة نازعة نحو استغلال الشعوب واضطهادها، وبين الغرب كحضارة ترمز إلى دور الشعوب الغربية.

خطوط المواجهة وشروط التفاعل

لا بد، في ظل ما تقدم من أبعاد رؤية الإمام الخميني (قده) للغرب، من افتراض خطوط مواجهة محددة معه. إنها مواجهة بقدر ما هي شمولية، بكل ما تتسع له هذه الشمولية من أبعاد فكرية وثقافية وعسكرية واقتصادية ونفسية وإعلامية، فإنها أيضاً مواجهة مرتهنة إلى مجموعة من الشروط والعوامل.

أولاً: إنها مرتهنة إلى القضاء على تيار التغريب داخل أوساط الأمة الإسلامية.

(١) في نداء للإمام (رض) إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٠ هـ.

ثانياً: ومرتهنة إلى تحقيق الإستقلال الحقيقي.

ثالثاً: ومرتهنة إلى إيجاد علاقات متوازنة لا مجال فيها للإستغلال الغربي والسكوت إزاء هذا الإستغلال.

رابعاً: وهي مواجهة مشروطة بانتباه الدول الكبرى إلى خطاياها.. وهذا أمر مستبعد.

وربما كانت هذه الشروط والعوامل هي ذاتها التي يتوقف عليها التفاعل مع الغرب من الناحيتين النظرية والعملية، فتجربة إيران الإسلامية الثورية، بعد أن تحولت إلى دولة، عكست شكلاً من أشكال التعامل والتفاعل مع الغرب على المستويات السياسية والإقتصادية والدبلوماسية، وهي لم تعش قطيعة كاملة، وعزلة تامة عن العالم الغربي، إلا أن ذلك خضع لقراءة دقيقة ورصد دقيق، فهو لم ينضبط نظرياً بما «انضبطت» به أشكال العلاقات الدولية والأعراف السائدة عالمياً في الخطاب الدبلوماسي، فهذه العلاقات والأعراف رفضها خطاب الإمام (قده) واعتبرها جزءاً من منظومة النظام العالمي القائم على منطق التبعية، ولذا، فإن الإمام مارس التفاعل مع العالم الغربي انطلاقاً من مقاييس خاصة به ترصد حركة التعامل الدولي والغربي مع الدولة الإسلامية وقضايا المسلمين وقضايا المستضعفين في العالم. فهو تفاعل لم يعطّل أولاً ماهية الخطاب الثوري الذي اعتمده الإمام تحت ثقل «الضرورة» الدبلوماسية، بل بقي خطابه يسير على وتيرة ثابتة من حيث ماهيته الثورية، وما يصبو إليه من أهداف، وهو تفاعل - وفق المقاييس الخاصة - قاوم أي محاولة للمناورة والإبتزاز الغربي للثورة وثوابتها وقيمها.

إن التعامل والتفاعل مع الغرب لم يتوقف على طول عمر المشروع الإسلامي بعدما تحول إلى دولة، لأنه نابع أساساً، في حسابات الغرب، من مصلحته الذاتية وحاجته الخاصة في العلاقات مع الأمر الواقع الذي تخلقه الحالات الإسلامية الثورية في سياق حركة المشروع الإسلامي الكلي. والإمام الخميني (قده) كان مدركاً لهذا المنهج الغربي. فهو منهج تتعدد آلياته في استيعاب الإنهيارات التي

تتعرض لها مصالحه في مناطق نفوذه، ولأنه منهج يتحرك أساساً على إمكانات مادية وعلمية حقيقية زائداً امكانات وهمية كاذبة يوحي بها وتعكسها استراتيجية الردع والتخويف التي يعمل بها. والإمام الخميني (قده)، عندما اكتشف بحسه السياسي هذه الإستراتيجية الغربية وعمل على مقاومتها، فهو من ناحية أخرى يدرك امكانية تعامل الغرب مع الثورة انطلاقاً من الأمر الواقع. وبهذا التشخيص الدقيق، «استطاعت الثورة الإسلامية الإيرانية أن تمر بذكاء من خلال مضيق التنافس السياسي بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، من دون أن تنزاح إلى هذه الكتلة أو تلك»(١).

وعوداً إلى كيفية تعاطي الإمام (قده) مع منعطفات الإبتزاز الغربي ربما يبلور شكلاً من مقايس التفاعل التي اعتمدها مع الغرب، فلنقرأ النص التالي حول قضية المرتد سلمان رشدي والإبتزاز الذي مارسته الدول الغربية من خلال سحب سفرائها من طهران، يقول الإمام (قده): «لا ضرورة أبداً لأن نهتم في هذه الظروف والأجواء بعلاقات وروابط واسعة، إذ قد يتصور الأعداء أننا أصبحنا نهتم بالعلاقة معهم والحاجة إليهم، بحيث إننا نسكت ولا نحرك ساكناً عند اهانة معتقداتنا ومقدساتنا الدينية، أولئك ما يزالون يعتقدون ويحللون أننا كنا بسطاء في سياستنا ومبادئنا الدبلوماسية وأنه ينبغي أن نعيد النظر فيها وأن لا نكرر الأخطاء السابقة، ويعتقدون أن شعارات الحرب الحادة بسبب إساءة ظن الغرب والشرق بنا، أدّت في نتيجتها إلى انزواء البلد، ولو أننا كنا اعتمدنا سياسة واقعية لكانوا عاملونا معاملة إنسانية وكانوا احترموا الإسلام والمسلمين كما احترمناهم»(٢).

يوضح هذا النص طبيعة التفاعل والتعامل المفترض مع الغرب ويوضح أننا «لسنا بحاجة إليهم» بل إن حاجة الغرب إلى هذا التفاعل والتعامل أكبر من حاجتنا، كما أنه نص يكشف أيضاً عن استراتيجية الردع الوهمية المتبعة من جهة، وعن

---

(١) الدكتور رياض سلمان عواد. الإمام الخميني (قده) والاستكبار العالمي والماسونية. ص ٤٨.

(٢) نص ما قاله الإمام حول قضية المرتد سلمان رشدي بتاريخ ٢١ ٣ ١٩٨٩م.

الحرب النفسية واسقاطاتها في اطار شروط التفاعل مع الغرب من جهة أخرى، فمقولة «الإنزواء» في اطار هذه الحرب النفسية التي ولدت تخوفاً لدى تيار من الإسلاميين من وقوع الإسلام وكياناته في عزلة عن العالم، هذا «الإنزواء» أعطاه الإمام (قده) معنى آخر في ذات الإطار النفسي، يقول (قده): «ومع الأسف يفكر البعض بأننا منزوون بسبب مخالفتنا لأميركا. كلا؛ إن أميركا هي المنزوية، إن الميزان عندنا هو الشعوب»[١].

وهكذا يسحب الإمام (قده) مضمون مقولة الإنزواء من يد الخصم ليستخدمها ضده بطريقة مشروعة، وتقوم على مصاديق في سياق المواجهة النفسية وبما يبلور الأطر السليمة للتفاعل والتعامل مع الغرب.

وعودة إلى نموذج النص الأصلي المتعلق بقضية المرتد سلمان رشدي تصلح لأن تكشف وتثبت موضوعين في آنٍ واحد، فلنقف على تكملة هذا النص الذي يقول الإمام فيه «إن سفراء دول المجموعة الأوروبية يعودون إلى طهران مجللين بالعار، نادمين على ما فعلوا، وربما أن دول المجموعة الأوروبية لم تكن تتوقع هذا الخزي والعار في محاولة تحقيق هدفها المشؤوم»[٢].

أولاً: إن هذا النص يأتي منسجماً مع خطاب الإمام الثوري الذي -كما أشرنا- سار على وتيرة مضمونية واحدة بعيدة عن المجاملة الدبلوماسية، وهو نص كما النصوص الأخرى التي ترتقي بالخطاب النظري للإمام (قده) في سياق المواجهة مع الغرب إلى حالة عدم ربط ثوابت هذا الخطاب بمجاملات واقع التفاعل الميداني مع الغرب ،بحجج الحاجة إلى مبدأ العلاقة مع الدول الغربية، فهذه الحاجة -كما أشرنا- هي حاجة غربية قبل أن تكون حاجة إسلامية، وهذا المعنى بدوره يرتبط بمعنى آخر.

ثانياً: والمعنى الآخر الذي يوحي به النص أيضاً، يتجاوز الكشف عن

(١) من كلمة له لمناسبة عيد الأضحى المبارك ١٤٠٠هـ.

(٢) المصدر نفسه.

استراتيجية الردع الغربية إلى إثبات المضمون الوهمي الذي تتحرك به هذه الإستراتيجية.

خيار الإنزواء

لقد فجّر خطاب الإمام الخميني (قده) السياسي إزاء الواقع الدولي والغربي تساؤلات كبيرة وخطيرة ومهمة، لا سيما في ما يتعلق بموضوع العلاقة مع الغرب، أو الحوار معه، أو مقولات الإنغلاق والإنفتاح إزاءه، أو مقولات العزلة والإنزواء الذي قد يجره منهج الإمام (قده) التعاملي إزاء الغرب بما انطوى عليه من تشخيصات سابقة تطرقنا لها في سياق البحث، أو حتى في ما يتعلق بشعار سياسة «لا شرقية ولا غربية» كخيار حكم مسيرته السياسية، وكمؤشر لسياسة الدولة التي أرسى بناءها، فهذا الشعار شكل جزءاً من منظومة الفكر السياسي التي عمل بها الإمام (قده)، وهي منظومة مترابطة لا يمكن تفكيك أجزائها، وعزل مفاهيمها وإعمال هذه المفاهيم بحركة انفرادية، منفصلة... وإنما هي منظومة تعمل مجتمعة، ويكمل بعضها بعضاً في الحركة السياسية، فشعار «لا شرقية ولا غربية» أثار تحفظات ومخاوف حقيقية ووهمية من إمكانية تطبيقه، أو من إسقاطاته العازلة للحركة السياسية الإسلامية عن الواقع السياسي الدولي بما فيه الواقع الغربي والرؤية إزاءه التي نحن بصددها. ومن هذه التحفظات ما يقول «ثم يطرح الخطاب الإسلامي المعاصر شعاراً بعنوان «لا شرقية ولا غربية»، مع أن الباحث في التراث الإسلامي، يجد أنه لا مبرر لمثل هذه الدعوة، وهي تكشف عن تسرع في الأحكام، والموقف التراثي يناقض ذلك من حيث: إن في القرآن الكريم العديد من الكلمات، غير عربية ومنها القلم «سريانية»، القرطاس «يونانية»، ثم صراط وسندس وإستبرق، التي يرجعها بعض الباحثين إلى أصول فارسية، وبذلك يبدو الخطاب الإسلامي خطاباً منفتحاً على الحضارات الأخرى غير العربية، شرقية وغربية، وربما يكون في ذلك ما يمثّل درساً للمسلمين في ضرورة الإنفتاح على الحضارات الأخرى،

وبذلك تكون مسألة الإنفتاح مسألة مشروعة»[1].

إن ما تضمنه هذا البحث في ما مضى من فقراته يشكل إجابات عن هذه الإشكالات، وهي اشكالات كما يبدو لا تنطلق من واقع حيادي أو قراءة حيادية، فهذا الشعار ومجمل رؤية الإمام الخميني (قده) التي تطرقنا لها لا تلغي ضرورات التفاعل الحضاري مع العالم، بل هي رؤية تسعى إلى التكامل معه، ولكن بشروط التوازن والطموح نحو حركة إنسانية (حزب المستضعفين) تعمل على إزاحة الظلم القائم في سلوكية الدول الكبرى، وخاصة الدول الكبرى الغربية، ولكن لأن خطاب الإمام (قده) طغى عليه طابع المقاومة والمواجهة، فبعض القراءات إما أنها استثمرت طغيان هذا الطابع، أو أنها وقعت في خطأ قراءة منهجي أدى بالنهاية إلى إيجاد هذه المخاوف التي تحولت في مجالات أخرى إلى إرباك في رؤية تيار من الإسلاميين إلى الضوابط الدقيقة التي تحكم التعامل مع الغرب، والمقاييس التي على ضوئها يعرف هذا التيار أين حدود الإنفتاح؟ وأين حدود الإنغلاق؟ ما هو الأصل في الرؤية؟ وما هي التفريعات أو التطبيقات التي تخضع للمرحلة والواقع السياسي الدولي والغربي المتحرك؟ وما هي الحدود الفاصلة بين التكتيك والإستراتيجيا؟ ولقد أخذت هذه الأسئلة صداها، انطلاقاً من مجالات المواجهة المتعددة وشموليتها وطبيعتها والخلفيات التاريخية لها، فـ«في ضوء ذلك، انطلقت الحركة الإسلامية في مواقع التحدي في داخل الضوضاء السياسية المتحركة في خط العنف الذي لم تضعه هذه الحركة، بل كان موجوداً بفعل الهزات السياسية المتنوعة التي فرضتها القضايا الكبيرة المتحركة على أكثر من خط، ما جعلها معنية بتثبيت موقعها على الأرض، وتأكيد موقعها، وتحريك شعاراتها من أجل إيجاد قاعدة واسعة في الساحة الإسلامية العامة، بحيث تستطيع أن تقف في خط المواجهة من موقع القوة، وهذا جعلها تشعر بالحاجة إلى الإستغراق في تعبئة الطاقات الشعبية الإسلامية بالفكر الإسلامي الثوري الذي تنطلق ثوريته لتحدد له مساره في ساحة الصراع، ولتدفعه

(١) علي نوح. مجلة المستقبل العربي. العدد ١٧٧، ص ١٣٥.

إلى الواجهة من خلال بعض المواقف البارزة في دلالتها السياسية، ولتفصله عن الإندماج في التيارات الأخرى التي سبقته إلى الساحة، وعملت على احتواء الذهنية العامة بطروحاتها وشعاراتها السياسية الفكرية وأساليبها في العمل، ومنهجها في التحرك، الأمر الذي يجعل عملية الفرز الفكري والسياسي بحاجة إلى كثير من الجهد، في تأكيد الفواصل التي تثير العقدة هنا، وتنصب الحواجز النفسية والمادية هناك، وتحرك بعض الأوضاع الخاصة التي تحمي الذهنية الإسلامية من عدوان الفكر والضلال»(١).

وفي ظل الحاجة إلى تأسيس المشروع الإسلامي وتحصينه «يكون الإنغلاق المؤقت، والعزلة المرحلية، خطاً سياسياً على مستوى الطرف المحدد، أو الموقع المحدد، ريثما تزول بعض السلبيات أو تتجمد بعض المشكلات الصعبة أو تختفي من الأساس.. وهذا هو الذي قد يفسر بعض حالات الإنغلاق أو العزلة، في ما يمكن أن يتمثل في مبادرة بعض الإسلاميين في هذا الإتجاه، نتيجةً لاجتهاد سياسي معين في تقويم المرحلة أو في فهم الساحة، بحيث يشعر هؤلاء بأن الإنفتاح قد يدفع الكثيرين من أعداء الإسلام للإلتفاف عليه في مواقعه الداخلية الحصينة، في غياب الحالة النفسية الرافضة للأوضاع السياسية الطارئة المحصنة بالكثير من وسائل القوة والهجومية، وبذلك يكون الإنغلاق محاولة لتثبيت الموقع وتأصيل الشخصية، وتحصين الساحة، بحيث تنطلق إلى الإنفتاح - في الظروف الأخرى - على أساس ما تملكه من قوة كبيرة لا تضعفها العواصف القادمة من هنا وهناك»(٢).

ومن خلال هذا الفهم يتضح الخط الفاصل بين الإنفتاح والحوار مع الغرب، وبين العزلة والإنزواء، فهذا الخط يتجسد أولاً بحركة الواقع السياسي (مرحلياً)، وبصلابة الأرضية التي يقف عليها المشروع الإسلامي ثانياً، وبضمان تصاعدية

---

(١) المنطلق. العدد السادس والخمسون. ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - تموز ١٩٨٩. الصحوة الإسلامية... اشكالات ومواقف. العلامة السيد محمد حسين فضل الله.

(٢) المصدر نفسه.

حركة هذا المشروع، وحفاظه على استقلالية قراره السياسي ثالثاً. وبعد ذلك، فإن القيادة الإسلامية هي التي ترصد مؤشرات هذا الخط، ومن ثم تقرر على ضوء هذه المؤشرات، ما إذا كانت المرحلة تتطلب الحوار، أو أنها تتطلب «الإنكماش الإيجابي» الذي يحصّن المسيرة، ومن هنا لا توجد إطلاقات نهائية، كما أن شعار «لا شرقية ولا غربية»، ليس دعوة إلى العزلة بقدر ما هو دعوة إلى الحوار المتكافىء الذي يحفظ الهوية الإسلامية، ويؤسس للشخصية الإسلامية. ومن هنا يبدو الأصل في رؤية الإمام إلى الغرب وغيره، هو التفاعل المتوازن المتكافئ، ولا طريق لذلك إلا المواجهة الواعية.

خلاصة

عبر كل ما تقدم يتضح ما يلي:

أولاً: إن رؤية الإمام إلى الغرب والحضارة الغربية تأتي في سياق الإطار الكلي لرؤيته إلى واقع العالم السياسي، بقواه الكبرى وتكتلاته وأنظمته ومؤسساته الدولية، وهي رؤية تقسم هذا العالم إلى معسكرين شرقي وغربي.

ثانياً: وهذه الرؤية الشمولية لواقع العالم، التي تأتي كشرط من شروط تأسيس هوية المشروع الإسلامي، وتأسيس الوعي الثوري ومن ثم تحصين هذا الوعي برؤى ونظريات ثابتة، لا تلغي تمايز الرؤية إلى الغرب انطلاقاً من واقع مواجهة إسلامي - غربي ميداني ، في إيران وفلسطين وعموم البلدان الإسلامية جعل من الغرب الخصم الأكثر مسؤولية عن معاناة المسلمين، فضلاً عن تيارات التغريب التي تعمل في واقعهم بما يفقدهم هويتهم وأصالتهم، وفضلاً عن الواقع التغريبي في شتى المجالات الحياتية الإسلامية. هذا الواقع الذي ضاعف من التأكيد على وجوب مقاومته في خطاب الإمام (قده).

ثالثاً: وتفرق رؤية الإمام (قده) بين الغرب كأنظمة وحكومات، والغرب كشعوب وحضارة، وهو حاول في المجال الثاني أن يستنهض القيم الروحية التي يمثّل فقدانها الأزمة الحقيقية في المجتمعات الغربية في ظل طغيان المنهج المادي.

رابعاً: وفي ظل رؤية الإمام الشمولية للصراع، فهو لم يحدد خطوطاً مسماة للمواجهة معه، بل اعتبر الصراع صراعاً مفتوحاً في كل الميادين، مع تركيزه على الحرب النفسية التي يخوضها الغرب في سياق هذا الصراع، واستراتيجية الردع والتخويف التي تتأسس على الوهم أكثر مما تتأسس على الحقيقة.

خامساً: وفي ظل تجربة الثورة الإسلامية في إيران، فإن إدارة علاقاتها الدولية تجسد مقداراً من التعامل والتواصل والتفاعل المشروط مع الغرب، إذ يفترض بهذا التفاعل أن لا يعطل تحت أي ضغط من الضغوط في حركة المشروع الإسلامي، وقوة الخطاب الثوري، كما أنه تفاعل محكوم إلى الإستقلال في السلوك السياسي

الإسلامي، والتوازن في العلاقات. أما الثقل الأكبر من التفاعل الذي يصل إلى حد التكامل في وحدة الهدف، فيكمن في رؤيته إلى عالم المستضعفين، وهو الأساس الذي يمكن أن تنطلق منه مقولة «حوار الحضارات».

سادساً: ويأتي الإنعزال أو الإنزواء في سياق المواجهة كضرورة لتحصين الموقع الإسلامي أو كخيار مرحلي تقتضيه ظروف المواجهة المحكومة إلى سياقات مختلفة من الحرب النفسية، وهي ضرورة تقدرها القيادة الإسلامية، فلا يشكل هذا الإنعزال أو الإنزواء أساس الرؤية الخمينية للواقع الإسلامي، فهي رؤية تواصلية، ولكنها مشروطة - كما أشرنا - بالصيرورة للمشروع الإسلامي.